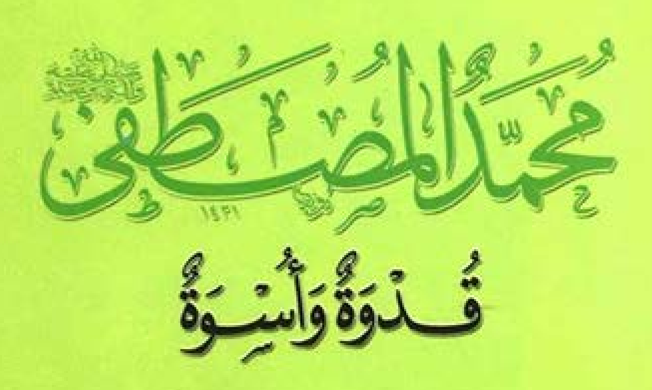
سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة

١







محمد المصطفى ﷺ

قدوة وأسوة



سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - ١



سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

السيد محمد تقي المدرسي



١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م



هوية الكتاب:

* الكتاب: محمد المصطفى ﷺ قدوة وأسوة.
* المؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
* الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).
دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار،
ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

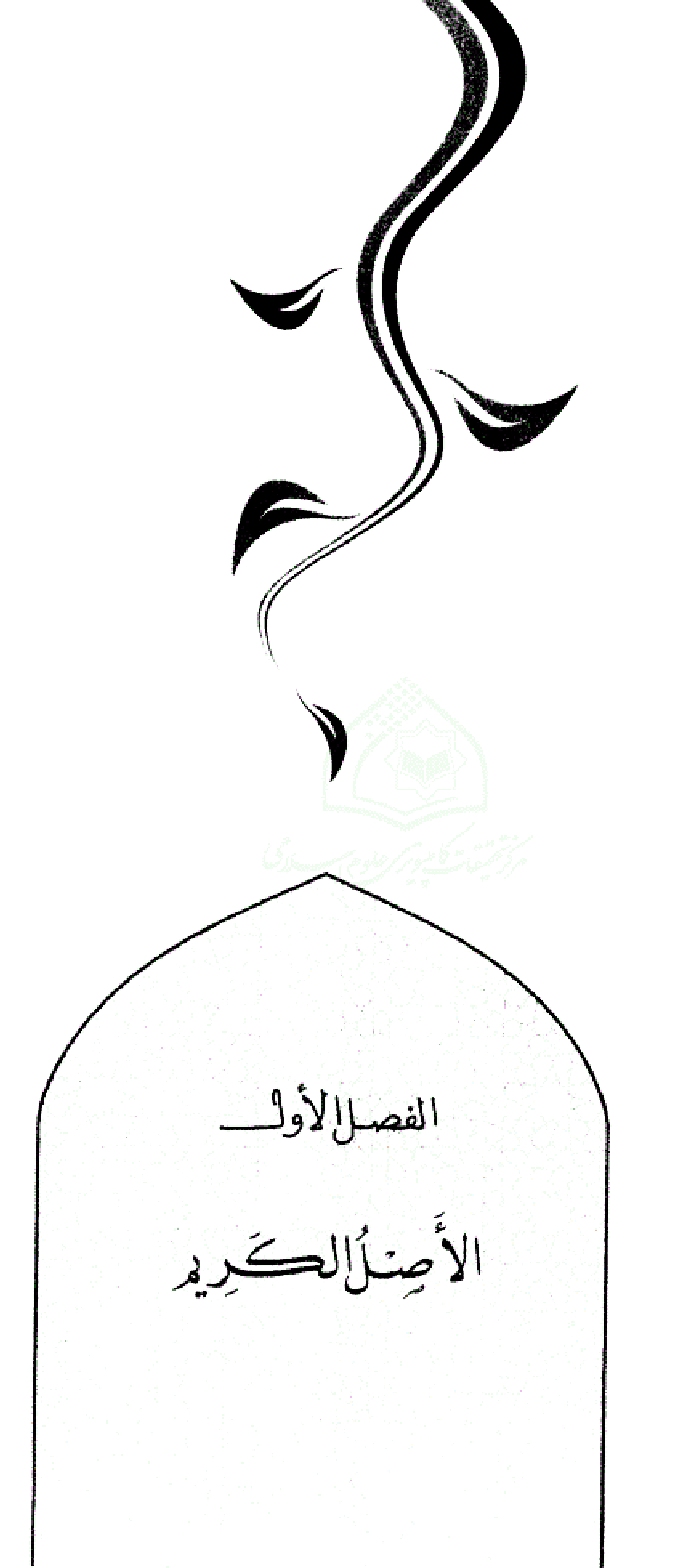
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾





الفصل الأول

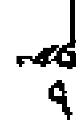
الأَصِلُ الكَرِيم



مكـة المكرّمـة: مدينة حجازية أنشـئت منذ عهـد إبراهيم الخليل عليه السلام، الـذي أمـره الله تعالى أن يرحل ببعض ذريّتـه إلى أرض الحجاز، ليبني هناك بيتاً لله يُعبد فيه ولا يُشرك به، فجاء وعمّر البيت الذي سُمي الكعبة.

ومن نسل إبراهيم عليه السلام انحدرت قبائل استعربت فيها بعد، وكانت إحـدى هذه القبائل تسـمّى بـ(قريـش)، وكانت هذه القبيلة منقسـمة إلى عشرة فروع، وكان لكل فرع سيادته واستقلاله، كما كان لكل منها نظامه القبـلي الخاص الذي يتكوّن من رئيس للقبيلة النافذ الكلمة، المُطاع الأمر، ومن سائر أفراد القبيلة التابعين له اتّباع الفصيل لأمه.

بَنُو هاشم:



وكانـت إحـدى هـذه القبائل العشر تسـمى بـ(بني هاشـم)، كما كانت لفظة (بني أمية) قد وضعت لقبيلة أخرى.

وبنو هاشم هي القبيلة التي كان النبي محمد ﷺ ينتسب إليها، حيث إنه كان من أحفاد عبد المطلب الذي كان بدوره من أبناء هاشـم، شيخ العشيرة.

عبدالله وآمنة:

كان عبد المطلب، شيخ بني هاشم، ورئيسها المطاع، وكان له عشرة أولاد، أصغرهم وأفضلهم هو عبد الله. وكانت في مكة قبيلة قريبة تُعرف ببني زهرة، منحدرة من نسل زهرة بن كلاب بن مُرة. وكانت امرأة من هذه القبيلة تسمى بـ(آمنة) بنت أحد شرفائها (وهب بن عبدمناف). فلمّا شبَّ عبد الله، زوّجه والدُه بآمنة، وتمَّ الزواج على أسعده.

الميلاد المبارك:

ولم تمضِ إلّا مدة يسيرة حتى حملت آمنة بسيّد البريّة النبي محمد ﷺ في حين أن عبد الله، والده الكريم، كان قد سافر في رحلة تجارية إلى الشام. فلما بلغ مدينة (يثرب) التي سُمّيت فيما بعد بمدينة الرسول، توفاه الله تعالى، فَوُلِدَ النبي يتيماً.

ورافقت ميلادَه الكريم حوادث خارقة حيث انخمدت نيران فارس المجوسية، وغاضت بحيرة ساوة وسقطت شرفات قصر كسرى ملك الفرس، ونُكّست الأصنام.

عهد الرضاع:

واحتفلت أسرة بني هاشم بمولده المبارك احتفالاً باهراً، وذلك لأن عبدالله كان أحبّ بني هاشم إلى أنفسهم. غير أن المنيّة اختطفته وهو في نُضرة شبابه، وبقيت مَنِيّتُهُ ثلمةً في قلوبهم وجرحاً عميقاً في نفوسهم. فكان ميلاد محمد ﷺ بلسماً لذلك الجرح، وسدًّا لذلك

الفراغ، وذكرى لذلك الشاب العظيم.

وحيث كان من عادة الشرفاء في مكة أن يطلبوا لأبنائهم مراضع من أهل البادية، لتكون نشأة أولادهم سليمةً عن الضعف الجسمي والنفسي، فقد اتَّخذ عبد المطلب -شيخ بني هاشم، وكفيل النبي محمد- امرأةً عربيةً من أفصح القبائل العربية لساناً وأكرمهم خُلقاً لتكون مرضعةً ومربيةً له. تلك كانت (حليمة) المنسوبة إلى قبيلة (بني سعد) التي كانت تسكن أطراف مدينة طائف.

ودرج الطفل المبارك في أحضان القبيلة البدوية التي كانت تنظر إليه نظرة المحبة والود، لأنه كان منشأ البركة والخير فيها، وأخذ ينمو نموًّا سريعاً.

ولما بلغ السادسة من عمره، رافق أمه آمنة في سفرة ودِّيَة الى يثرب (المدينة)، وحينما قفلوا راجعين توفيت آمنة في منزل «الأبواء» تاركة ابنها الوحيد يتيم الأبوين.

ولما بلغ الثامنة تُوُفِّي عبد المطلب جدُّ النبي وكفيله، وترك كفالة محمد ﷺ إلى أبي طالب عليه السلام، كما خوّل إليه سيادة بني هاشم، ووفادة الحاج.

ولم يكن أبو طالب كفيل النبي فقط، بل كان بمثابة والدٍ حنون يرى في إكرام ابن أخيه (محمد) وفاءً لحق أخيه عبد الله، وإطاعةً لأمر أبيه عبد المطلب، وأداءً لمسؤولية سيادته على بني هاشم، وعملاً بوظيفته الإنسانية المقدسة في الحياة.

فكان النبي ﷺ يذهب معه إلى المرافق العامة، حتى تلك

المناطق التي كانت محرّمة على غير السادة والأشراف، مثل دار الندوة التي كانت بمثابة رئاسة الوزراء في المملكة، وكان لا يدخلها إلّا من كان سيِّداً في قومه. ذلك لأن أبا طالب كان حريصاً على حياة محمد وتربيته، حتى أنه لما أراد أبو طالب أن يواصل رحلة قريش التي كانت تتّجه إلى كل من اليمن في الشتاء، والشام في الصيف لغرض التجارة، اصطحب معه النبي ﷺ وهو فتىً لم يبلغ مبلغاً من العمر يؤهله الى مثل هذه الرحلة المليئة بالأخطار.

وحينما سارت القافلة، رأوا شيئاً غريباً لم يكونوا عرفوه من قبل. فقد رأوا أن سحابة ترفرف على القافلة فَتُظللهم من الشمس، وتُبدِّل الرحلة الخطيرة إلى رحلة سعيدة مريحة.

الراهب بُحيرا:

بالقرب من مدينة بصرى القديمة، كانت تقوم صومعة يسكن فيها عابدٌ مسيحيٌّ، اشتهر في الناس أنه صاحب كرامات وتنبؤات صادقة.

ولم يكن هذا الراهب يعتني بالقوافل التجارية التي كانت تمرّ بمنطقته في سيرها إلى الشام وإلى الحجاز، لأنه كان مستغنياً عنهم، في الوقت الذي كانوا محتاجين إليه.

وكانت قد مرَّت قافلة قريش التجارية بهذه المنطقة مرات عديدة، ولم يرمقهم هذا الراهب بطرف، ولا خطروا عنده ببال.

أما في هذه المرة فقد تبدلت الأمور، قبل أن يصل الركب، رأى الناس أن الراهب يتطلع إلى الصحراء، ثم يقلب وجهه في السماء كأنه

يطلب شيئاً في الأرض وشيئاً في السماء، فلما اقترب الركب، لاحظ الناس أن الراهب يراقب سحابة في السماء كأنها تسير على أثر خطوات الخيل والجمال سواء بسواء. وحينما وصلت قريش إلى رحاب الصومعة دعاهم الراهب إلى الإقامة فيها للعشاء تلك الليلة، وتعجَّب الناس كلهم من هذه البادرة، إلا أن الراهب أزال دهشتهم بتصريح أدلى به على مأدبة العشاء حيث قال: إن إكرامه وإعظامه لقريش إنما هو لوجود هذا الفتى السعيد بينهم، وبشّرهم بما سوف يكون من أمره من الرسالة المقدسة.

وتكررت هذه البشارة مرة أخرى في الشام، حيث التقى بالنبيِّ راهب آخر كان يدعى بـ(أبو المويعب) وبشَّر الناس قائلاً: هذا نبيّ الزمان.

ورجع النبي ﷺ إلى مكة وامتلأ رفاقه في تلك الرحلة إعجاباً به وإعظاماً له. فلما قصّوا على الناس قصصهم في السفرة، اشتهر أمر النبيّ ﷺ أيّما اشتهار.

ثم بَدرت من النبي بوادر طيبة جعلت الناس تنظر إليه نظر التوقير والاحترام. فحينما هدم السيل بنيان الكعبة، وأرادت قريش ترميمها، اختلفت في الذي يجب أن يحظى بفخر وَضْع الحجر الأسود في مكانه من ركن الكعبة، فقد كان لذلك الحجر شأن عظيم في نظر قريش وسائر العرب، وكاد الزعماء في قريش يحارب بعضهم بعضاً، بيد أنَّ حكماءها قالوا: لنحتكم إلى أول داخل من هذا الباب، فرضي الجميع بذلك.

ووقف الناس ينتظرون أول الداخلين من ذلك الباب، فإذا

بطلعة النبيِّ محمدٍ ﷺ قد أشرقت عليهم، وإذا صوت واحد يقول: هذا الأمين قد رضينا به. فعرف النبيُّ ماجرى بينهم، فأمر بأن يؤتى بثوب، ثم أمر بأن يأخذ كل زعيمٍ بطرف منه ثم وضع الحجر فيه وأمر برفعه حتى إذا تساوى مع الحائط أخذه النبيُّ ووضعه في موقعه. وهكذا حفظ النبي ﷺ بهذا الحكم العادل المنصف حقوق القبائل كلها، كما أنه فاز بفخر تركيز الحجر بنفسه، ورضيت به قريش صاحب فخر ومجد بالغين.

وكانت الرذيلة والأخلاق السيئة متفشّية بين الشباب بصورة فاحشة، حتى أنه لم يكن في العرب شاب لم يتدنس بسيئاتها إلّا الشاذ النادر.

ومع كل ذلك فلم يسجل العرب المعاصرون للنبي ﷺ والمراقبون لأيام شبابه، أي ميل إلى الباطل أو أي مشاركة في لهو أو لغو، بل العكس فقد لاحظ الناسُ في النبيِّ ﷺ كلَّ معاني الشرف والنبل، وكل سمات الإنسانية والصلاح.

والمعروف أنه كان قد تم الاقتراح على شرفاء مكة وساداتها، أن يكوّنوا لجنة تدافع عن حقوق الضعفاء، وتراعي أمورهم. فاستجابت النفوس الطيبة إليه، وأقسموا قسماً شرفيًّا بذلك؛ وسُمِّيَ بـ(حلف الفضول)، وسواءٌ كان النبي ﷺ هو المقترح أو غيره، فإنه قد حضره وقد أشاد به بعد الرسالة حيث قال: «**لَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفاً فِيْ دَارِ عَبْدِاللهِ بْنِ جَدْعَانَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيْ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيْتُ إِلَيْهِ فِيْ الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ**»[1].

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢، ص٤١.

الأمين.. الحكيم:

وحيث عرف أهل مكة فيه هذا السموّ الخُلقي والنبل المعنوي، فقد ائتمنوه على أمورهم، وسلَّموا إليه ودائعهم، كما أفشوا إليه أسرارهم، واستشاروه في قضاياهم الخاصة، فكان يُعرف بينهم بالأمين وبالصادق الحكيم.

أما ما يخصّ أمر كفيله أبي طالب، فقد كان النبي وفياً له، برًّا به. فلقد كان أبو طالب فقيراً مُعيلاً، حيث إنَّه كان سيِّداً يتحمل مسؤوليات السيادة الخطيرة التي كانت تحتاج إلى المال قبل كل شيء، وكانت موارده قليلة جدًّا، فلذلك أخذ النبي يفكر منذ صباه في طريقة للعيش يُخفِّف بها مسؤولية الكفالة عن عمه أبي طالب.

فاشتغل برعي الغنم شأن صبيان العرب في مكة، بفارق أنه كان يتأهل بذلك لمسؤولية الرسالة أيضاً، وذلك أنه ما بعث الله نبيًّا إلّا وقد كان راعياً في يوم من أيام حياته!.

ومرّت الأيام، وشبّ النبي ﷺ، ولم تعد هذه الطريقة لائقة به في مثل سنّه، فأخذ يمارس التجارة. ثم سعى عمه في إرساله بتجارة إلى الشام تخص السيدة خديجة بنت خويلد، المرأة الثرية التي كان يُتاجر بأموالها كثيرون من سكان مكة، على أن يكون الربح بينها وبينهم، فتمَّ له ذلك.

وحينما ذهب النبي ﷺ في هذه الرحلة التجارية، كان من أوفق التجارات التي تمت بمال خديجة إلى ذلك الحين. وقد كان ظهر من النبي ﷺ في تلك الرحلة معاجز كثيرة، لما قُصَّتْ على خديجة

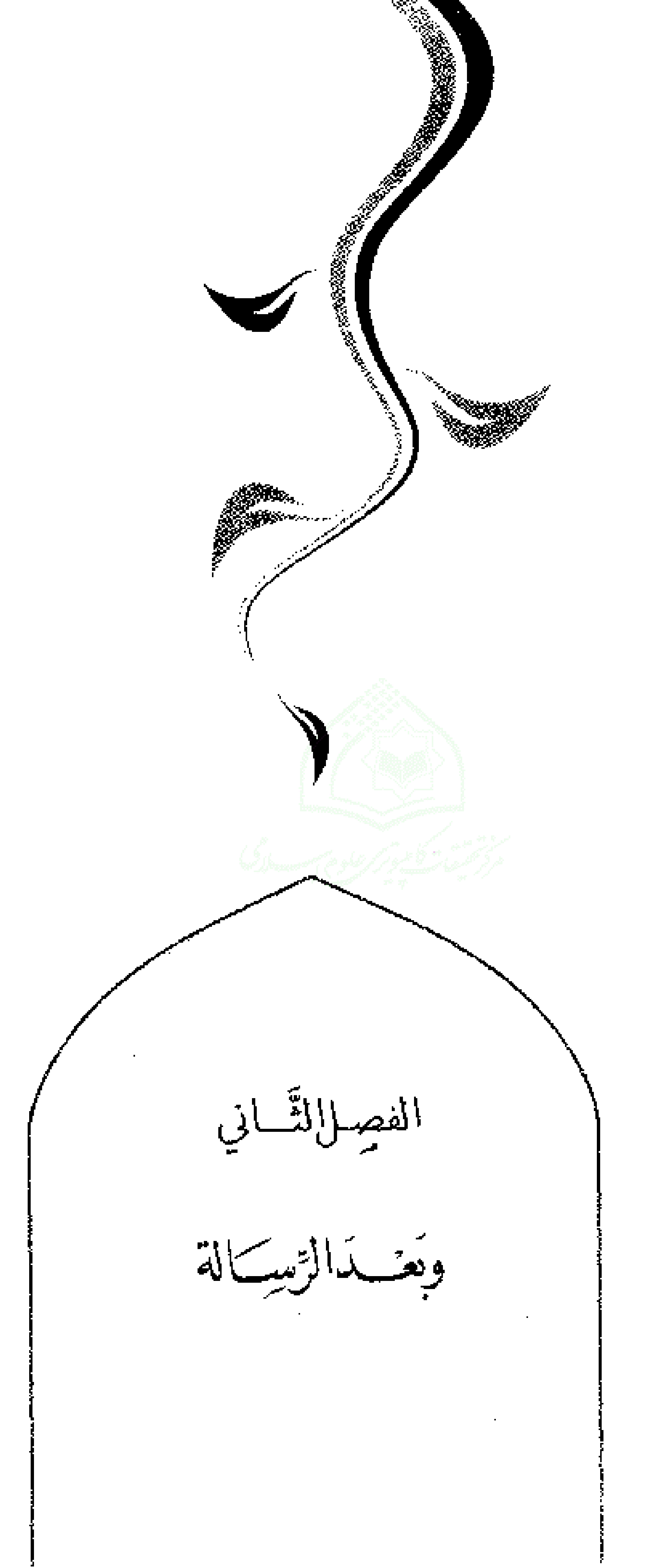
رغبت بالزواج بالنبيّ ﷺ، فقبل النبيّ بذلك، ووافق عليه عمه أبو طالب. فتم الزواج السعيد في السنة الخامسة والعشرين من عمر النبيّ الشريف. وكان زواجه تحوُّلاً في حياته الاجتماعية. حيث لم يعد الآن صاحب بيت وأولاد فقط بل وصاحب ثروة كبيرة ضخمة أيضاً.

ورُزق النبيُّ ﷺ من خديجة خمسة أولاد هم (زينب) و (أم كلثوم) و (فاطمة) و (رقيّة) و (القاسم، أو الطاهر) عليهم السلام.

لقد كان هذا الزواج أوفق زواج يُعرف في صدر الإسلام.

أما بالنسبة إلى خديجة فإنها أصبحت به: زوجة النبيّ، والأم الكبرى للمسلمين. بعد أن اتَّصل بها أشرف الخلائق أجمعين.

وأمّا بالنسبة للنبيّ ﷺ فقد كانت خديجة أول من آمن به، ثم نصرته وبذلت ما لديها من المال والجاه والحكمة في سبيله وفي سبيل نشر دعوته المقدسة. ولم يزل النبيّ يذكر لها ذلك حتى آخر لحظة من حياته. وقد كانت وفاة خديجة تعادل عند النبيِّ ﷺ موت عمه أبي طالب، فلقد تأثر بهما تأثراً بالغاً، ثم فقدهما في عام واحد حينما كان أحوج ما يكون إليهما معاً.



الفصل الثاني

وبعد الرسالة



العالم في ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى رسالة، وإلى رسول.

فهذي عربٌ تَئِدُ البنات وتقول: نِعْمَ الصهرُ القبر. وتُكثر الحرب، وتحسب أنها مفخرة للإنسان. وتؤمن بالخرافات: بالكهّان والعرّافين، وتعبد الأصنام، وقد شاع فيها الظلمُ، فهناك طائفة من المستغلين الذين لا يعرفون للطمع حدوداً، ولا للاستغلال قيوداً، وهناك طائفة من الكادحين الذين تُستنزف جهودهم استنزافاً وتُستثمر قواهم استثماراً. وهذه سائر مناطق الأرض في مملكة الروم، وفي إمبراطورية الفرس، شاع فيها الفساد والعدوان، وكثرت فيها الفواحش والموبقات.

وهؤلاء حكماء العرب الذين يطّلعون على الكتب السماوية مثل: ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وغيرهم، يبشّرون بنبيٍّ يُبعث، ويُنقذ الإنسانية من هذه الهاوية السحيقة.

وهؤلاء يهود يثرب يتطاولون على العرب بنبيٍّ يُبعث فيهم، ويأتي بكتاب عظيم، ويخضع لدعوته العالم، فيصبحون أعزاء في الحياة.

وهؤلاء الكهنة والعرّافون لايزالون ينتظرون النبيّ الذي يكون خاتم النبيين، وسيّدهم.

فمن هو هذا النبيُّ، ومتى يُبعث؟؟.

هنا في بيت خديجة -بمكة وفي أرض الحجاز- يُعرف رجل لم يشترك في باطل قط، ولم يعزف عن حق قط، ولم يَعرف الإثم جنابه ولا غاب الخير والصلاح عن رحابه.

إنَّ هذا الرجل تجتمع فيه جميع مؤهلات الرسالة، وكل ما ذكر في الكتب من علائمها؛ فهو من أعرق العرب فخراً ومجداً، ومن أسمى أُسَر العرب شرفاً وكَرماً، وهو أحسن الناس خُلقاً، وأفضلهم عملاً، وأقربهم إلى الحق وابعدهم عن الباطل.

وقد حدث مرات عديدة أن فقدته مكة فوُجِدَ في غار حِراء يعبد الله ويطيعه، ويمارس نُسكاً خاصة لايعرفها أهل مكة.

ففي الشمال الشرقي من مكة يرتفع جبل النور، وفيه غارٌ أعتاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يظلّ فيه أياماً يواصل فيها عبادةً مجهولة عند الناس.

وذات يوم يروح محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم إلى حِراء فيرى كلَّ شيء قد تبدّل. فإن روحانية جديدة تشمل كيانه، وتستوعب شعوره، وإذا به يرى السماء قد فتحت أبوابها، والمَلَك على أرجائها، وجبرائيل يهبط إليه ويقول له: اقرأ.. فيقول له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما أقرأ؟

فقال له جبرائيل عليه السلام: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

وكان هذا الحادث في السابع والعشرين من شهر رجب حيث يحتفل المسلمون بعيد (المبعث النبويّ) باعتباره بدْءَ حياة الخير والسعادة للإنسان على وجه الأرض.

---

(١) سورة العلق، آية: ١ - ٥.

وهكـذا بُعث النبي بالرسـالة، وابتدأت مرحلة جديدة من حياته الكريمـة، حيـث لم يعـد الإنسـان الطيب الـذي يعمل المعـروف فقط، ويـؤدي الأمانـة ويصـدق الحديـث، ويُعيل الأقربـاء، بـل أصبح الآن البشير النذير الذي يحمل على كتفه مسؤولية قيادة الإنسان الى كل خير، وصيانته من كل شر.

كما أنها ابتدأت بالبعثة مرحلة جديدة للجزيرة العربية، بل للعالم كله. فسـوف لا يبقى العالم يسوده الظلم والظلام، والشر والطغيان، بل ستفتح فيه أبواب الخير التي تنتهي إلى سيادة العدل والنور والخير والمعروف.

ورجع النبي إلى مكة فبلّغ خديجة ما جرى له، وقصَّ عليها القصة فآمنـت به، كما أنه حدَّث بها ابـن عمه عليًّا -وهو فتى مراهق كان النبي قـد تكفَّـل تربيته- فآمن ثم آمن كذلك جعفر أخـو علي. ثم أعلن النبي ﷺ دعوتـه حينـما نزلت هذه الآيـة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1].

وابتـدأ بعشـيرته حيـث نزلـت عليه آيـة أخرى تقـول: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2].

فجاء النبيُّ ﷺ حتى وقف على الصفا فنادى: «يَا صَبَاحَاهْ.

فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟.

فَقَالَ ﷺ: أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُمْ مَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي.

(١) سورة المدثّر، آية: ١ - ٣.
(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

قَالُوا بَلَى.

قَالَ ﷺ: فَإِنِّي: ﴿نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

قَالَ أَبُو لَهَبٍ -أحد أعمام النبيّ- تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا جَمِيعاً!»[1].

وخطب فيهم مرةً أخرى وقال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَلَوْ كُنْتُ كَاذِباً لَمَا كَذَبْتُكُمْ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ حَقًّا خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللهِ لَتَمُوتُونَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُونَ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُونَ كَمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً وَبِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّهَا الْجَنَّةُ أَبَداً وَالنَّارُ أَبَداً، وَإِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ أُنْذِرْتُمْ**»[2].

ولكن لم تكن تلبية القوم إلَّا مثل تلبية أبي لهب. فقد أعرضوا عنه، واستهزؤوا به، وسخروا بدعوته. أما هو فقد ظلَّ يواصل دعوته بشتى الأساليب، حتى اشتهر خبرها في مكة وما حولها. وبلغت دعوته بعض النفوس النيِّرة الخيِّرة التي كانت تريد الحق والخير، فآمنت بها، واتَّبعتها. بيد أن أكثرية التابعين لها كانوا من الطبقة الفقيرة التي لم تكن تملك لنفسها نفعاً ولا ضرًّا.

أما سادة قريش وأشرافها، أما المستغلون المرابون، أما الذين كانت مصالحهم ترتبط بالأصنام والأزلام، أما ذوو العقول المتحجرة، والنفوس المتصلبة، أما هؤلاء فقد اعتبروا هذه الدعوة شرًّا يجب أن يقاوَم وأن يحارَبَ بكل وسيلة.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨، ص ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ج١٨، ص١٩٧.

ولذلك فهؤلاء لم يمتنعوا عن قبول الدعوة فقط، بل أخذوا يسلكون معها مسلكاً معادياً، وساروا في جبهة معاكسة تماماً؛ فكل من أسلمَ قابلوه بالكبت والاضطهاد، وحاولوا ردَّه إلى دينهم الخرافي السخيف. فكم من رجل منشرح الصدر، ومنوَّر القلب اعترف بالنبي ﷺ، فتعرّض للتعذيب والتنكيل من جانب قريش؟ وكم من عبد أو أمة آمن بالرسالة فَهُدِرَ دَمُه ومات فداء إيمانه! فهذا عمار قد عذَّبوه ونكَّلوا به. وهذا ياسر أبوه، وهذه سُميّة أمّه قد قتلوهما قتلاً!.

ولم يكن نصيب النبي ﷺ من هذا التعذيب والأذى قليلاً. فإنه كان كلما سمع أنّه عُذِّب أو أوذيَ أحدٌ في سبيل دعوته تألَّم وتأثَّر، ولربما فاضت عيناه بالدموع. وبالإضافة الى ذلك فقد كانت قريش تتعرض للنبي ﷺ بالذات، إذ كان أبو لهب يرمي النبيّ بالحجارة، وكانت زوجته تُلقي في طريق الرسول ﷺ الأشواك. وكان أبو جهل يحاول إثارة غضبه بإلقاء الفرث على رأسه وهو في الصلاة، أو يرمي القذر في طعامه وهو يأكل؟.

وشجَّ أحد الكفَّار رأسه الشريف بالقوس حتى جرت دماؤه على وجهه الكريم!. وكان بعض آخر منهم يلطِّخون داره بالأقذار، وقد يُلقون بها في فناء داره.

أما السخرية والاستهزاء والتقريع، فقد كانت تمتلئ بها أفواه الكفاّر، ويصبُّونها على النبيِّ ﷺ كلَّ حين!.

وكان النبيّ ﷺ يقابل كلّ ذلك بصبر حكيم، وحلم قائد، وأناة نبيّ؛ فإذا جاءت إليه طائفة من الكفّار استقبلهم بكل طلاقة، ودعاهم إلى الدِّين بأحسن طريق، فإذا لبّوا دعوته يكون ذلك خيرٌ، وإلّا فإنه كان

يطلب منهم أن يأتوا بمثل ما أتى بـه من القرآن، ثم يتلو عليهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(1).

ولطالما كانوا يسخرون منه ويستهزئون بدعوته، فكان يعظهم ويدعو الله لهم بالهداية دون أن يغضب أو يثور.

وكان في بعض الأحيان يتجوّل في العشائر والمجامع، ويدعو الناس إلى ربهم. بيد أن كفار قريش كانوا يعرقلون طريق دعوته بأمرين:

الأول: أنهم كانوا يحذرون الناس من أن يتأثروا بدعوته قائلين لهم: إنَّ الرجل منّا، وهو ساحر ومجنون أو كذّاب. حتى أن الناس كانوا يضعون القطن في آذانهم لكيلا يسمعوا قول النبي ﷺ.

الثاني: أنه كان يسير خلفه رجل منهم ويصيح: إنه كذاب فلا يُسمع قولُه، ولا تُلبّى دعوتُه.

وعجز كفارُ قريش عن أن يمنعوا سير الدعوة الحثيث واشتهارها بهذه المعارضات. ففكّروا في انتهاج مسلك آخر في منع الناس عن الإسلام، فجاؤوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا له: «يَا مُحَمَّدُ! شَتَمْتَ الْآلِهَةَ، وَسَفِهْتَ الْأَحْلَامَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ. فَإِنْ طَلَبْتَ مَالًا أَعْطَيْنَاكَ، أَوِ الشَّرَفَ سَوَّدْنَاكَ، أَوْ كَانَ بِكَ عِلَّةٌ دَاوَيْنَاكَ!.

فَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ بَعَثَنِي اللهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ كِتَاباً، فَإِنْ قَبِلْتُمْ مَا جِئْتُ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ

(1) سورة الأسراء، آية: 88.

ترُدُوهُ أصْبِرْ ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾[1]»[2].

وفكروا هذه المرة بأن يستأصلوا الشجرة الطيبة من أصلها وأن يغتالوا النبيّ ﷺ نفسه، بيد أنّه كان يومئذ يأوي إلى ركن شديد، وسندٍ قويّ، لم يقتدر الكفار أن يأتوا عليه، وهو عمُّه وناصره أبو طالب سيد قريش وشيخ بني هاشم. فحاولوا أوّل الأمر إغراء أبي طالب فقالوا له: «إننا نعطيك ولداً وسيماً من أبنائنا ونأخذ محمداً ونقتله.

فقال: ما انصفتموني. آخُذ ولدكم فأُطعمه وأسقيه، وتأخذون ولدي فتقتلونه. فقالوا له: إنَّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا. فإما أن تكفه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه فنكفيكه».

لكن أبا طالب الذي لم يشكَّ في صدق مقالة ابن أخيه والرسول المبعوث إليه، ردّهم ولم يقبل أيَّ واحد من اقتراحاتهم؛ وخاطب النبيَّ ﷺ قائلاً: «أُدع إلى ربّك. فإني لن أتخلَّى عنك أبداً».

وحينما رأت قريش أن أبا طالب لن يتخلى عن النبي، دبّرت له خطة أخرى، حيث أجمعت أمرها على مقاطعة النبيّ وكلّ من يؤازره من بني هاشم. وكتبوا صحيفة بشأن هذا القرار، ومنعوا الناس من أن يبيعوا شيئاً إلى بني هاشم. فجمع أبو طالب بني هاشم وجعلهم في شِعْبٍ كان له في أطراف مكة، وبقوا هناك ثلاث سنين في أشدّ ما يكون من سوء العيش، وأكثر ما يكون من الخوف والقلق، حتى أن أبا طالب كان يُبدِّل فراش النبي ﷺ في كل ليلة مرات خوفاً على حياته الكريمة.

(١) سورة الأعراف، آية: ٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج١٨، ص٢٠١.

وشاء الله أن تنقضي مدة هذا النفي فأمر بالأرضة (وهي دابة صغيرة) أن تأكل الخطوط الملعونة التي رُسمت على الصحيفة. فأكلتها، وألهم نبيّه بشأن ذلك، فأخبر النبيُّ ﷺ أبا طالب عليه السلام، وهو بدوره ذهب إلى الكفار وحدَّثهم بذلك. وقال: إن ذلك علامة صدق ابن أخي في ادّعائه الرسالة، وكذبكم في إنكاركم أمره. فجعلوا الاطلاع على الصحيفة حكماً بينهم فإن كانت الصحيفة كما أخبر الرسول ﷺ أخرجوهم من المنفى، وإن لم تكن فإنهم ماكثون فيه.

وحينما اطّلعوا عليها وجدوها كما أخبر الرسول ﷺ. فخرج بنو هاشم من المنفى منتصرين. وتمَّ بذلك عهد كان من أشد العهود على النبيِّ وآله، وأصعبها جميعاً.

وإنّ الضراء التي مست الأسرة الهاشمية في منفاها بشِعْب أبي طالب كانت شديدة للغاية. ولذلك فإن خسارتها كانت بالغة وكبيرة أيضاً، حيث نتج عن الحصار الاقتصادي والاجتماعي على بني هاشم موت خديجة زوجة النبي ﷺ، وموت أبي طالب عمه وكفيله.

لقد كانت خديجة عليها السلام شريكة النبيِّ ﷺ في كلّ آلامه وآماله، والمسلّية له فيما أصابه من أذى، بل كانت المُعينة له على مكاره قريش، كما كان أبو طالب حامي النبي ﷺ الذي كان قد ألقى بينه وبين أذى قريش حجاباً ثقيلاً.

لقد كان أبو طالب سيّد قريش وشيخ بني هاشم؛ وكان له حق مشروع في الدفاع عن النبيّ محمد ﷺ في منطق النظام الاجتماعي السائد في تلك الأيام، حيث إنه كان يعتبر النبيَّ ابناً له. والمرء يمكنه الدفاع عن ولده في ذلك النظام بكل أسلوب وفي جميع الأحوال حتى

ولو كان ابنه خارجاً عن طريقة أهل البلاد ودينهم.

فموت أبي طالب وخديجة كان بمثابة هدم حصن حصين ذي ركنين ثابتين بالنسبة إلى النبي ﷺ في تلك الظروف، ولذلك سميت تلك السنة بعام الحزن. وحيث اشتدّ فيه حزن النبيّ وتأثره بموت حامِيَيهِ والمدافعين عن دعوته ورسالته. وكان ذلك بين العام السابع والثامن من البعثة.

واشتدت الأزمة بالنبي ﷺ بعد وفاة أبي طالب؛ لأن قريشاً أجمعت أمرها على سحق المسلمين ومحق الدعوة الإسلامية، فقامت بضغط عنيف على المسلمين، وبأذىً كثير للنبيّ ﷺ، وحاولوا مراتٍ عديدةً قتله إلّا أنَّ الله منعه منهم. فأخذ النبي ﷺ يُعدّ تدابير لهذه الأزمة المحيطة به وبالمسلمين. فبالنسبة إلى المسلمين أمَرهم بالهجرة إلى الحبشة، وقد تمت هذه الخطة بترحيل طائفتين كبيرتين منهم إليها عن طريق البحر، فتخلصوا من شرّ الكفار وكيدهم، وقد آواهم ملك الحبشة، وأكرم وفادتهم.

وأما بالنسبة إليه نفسه ﷺ فقد ذهب إلى الطائف -وهي مدينة قريبة من مكة تقطنها ثقيف القبيلة الكبيرة- لعله يستطيع أن يهدي أهلها فيمنعوه من قريش. بيد أن هذه الخطة لم تحظ بنجاح، فقبيلة ثقيف لم تقبل الإسلام، بل سلّطت سفهاءَها وجُهّالها على النبي ﷺ؛ فآذوه شر أذية وأرسلوا إلى مكة ينقلون إلى قريش قصة دعوته لهم إلى الإسلام، فاستعدت قريش له من جديد، فلم يأمن النبي ﷺ يومئذ على نفسه من الرجوع إلى مكة بصورة عادية، فاضطرّ إلى أن يراسل بعض سادات قريش ورؤسائها يطلب منهم أن يُجيروه من قريش، فأجاره واحد منهم

حتى جاء إلى مكة تحت حمايته.

وعرف النبي ﷺ أخيراً أن أهل مكة لا يمكن أن يكونوا الحاملين للرسالة الإسلامية المقدسة إلى الآفاق، لأنَّ دعوته الملحّة المستمرة التي ظلت فيها زهاء عشر سنوات لم تُجْدِهِ نفعاً أبداً، ولم تُنتج غير إصرارٍ من الكفار وعنادٍ بالغين.

فصمَّم على نشر الدعوة بين سائر القبائل العربية الأخرى، فإذا استطاع أن يهدي قبيلة واحدة ذهب إليها وظلَّ ينشر نور الإسلام من خلال أفرادها. فأخذ يدعو الناس في المواسم التي كانت العرب تتدفق فيها على مكة لغرض العبادة أو التجارة، فيذهب إلى القبيلة ويقول لها: «يا بَني فلان: إني رسول الله إليكم، وأنا آمُركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وإن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبيِّن عن الله ما بعثني به».

وكانت قريش ترسل وراءه من يعقّب على كلامه بتحذير العرب من طاعته، وتهجّن دعواه، وكان عمّه أبو لهب يتولى هذه المهمّة في أغلب الأحوال.

أما القبائل العربية فكانت تتعصّب لآلهتها المزعومة، وتُؤْثِرُ البقاء على تقليد الآباء. كما كانت تَحْذَرُ من قريش؛ إذ لو كانت تُسلم لكانت تتعرض لحرب قريش قطعاً، فكانت تردّ النبي ولا تقبل دعواه، وتردُّه إما ردًّا جميلاً أو قبيحاً.

إلَّا أن قبيلة واحدة استجابت إلى دعوة النبي ﷺ، تلك كانت القبيلة العربية الساكنة في يثرب، والتي كانت منقسمة إلى طائفتين: الأوس والخزرج، وكانت الحرب بينهما قائمة على أشدها، وكانوا قد ملُّوها.

نعم، استجاب أهل يثرب إلى قول النبي ﷺ وقبلوا دعوته. وبذلك أخذ الإسلام ينتشر في المدينة (يثرب) انتشار الضياء بعد ليل طويل.

وتمّت بيعة مسلمي المدينة الثانية مع محمد ﷺ في العقبة بمنى في السنة الثانية، وتمت بها الاتفاقية العسكرية بين النبي ﷺ وأنصاره من أهل المدينة. وكان اللازم بموجبها على المسلمين من أهل المدينة الدفاع عن النبي ﷺ وعن سائر المسلمين من أتباعه بكل ما لديهم من قوى حربية.

وابتدأ النبي ﷺ بتنظيم الهجرة الى المدينة؛ فأخذ يُرحّل أصحابه إليها واحداً بعد آخر على حين غفلة من كفّار قريش.

وحينما سمع الكفّار بذلك قالوا فيما بينهم: إنَّ المسلمين إذا اجتمعوا في المدينة، كَوّنوا قوةً معارضةً تُكَلِّفُنا كثيراً من المال والدم. ففكروا في إعاقة الهجرة بمنع المسلمين ترغيباً أو ترهيباً، بيد أنَّ المسلمين أخذوا يفلتون من أيديهم تحت أجنحة الظلام وفي غياهب الليل. فقال الكفّار لأنفسهم: إنَّ النبيّ لا يزال بين أيدينا، وليس له منعة عنّا، فلو هاجر إلى المدينة وجمع أنصاره حوله، فهنالك يصبح من الصعب القضاء عليه. فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في الأمر، حتى استقر رأيهم على أن يأتوا من كل قبيلة برجل، ثمَّ يهجموا على النبيّ ﷺ هجمةً واحدةً فيقتلوه ويضيع دمه بين قبائل العرب، فلا يستطيع بنو هاشم من أخذ الثأر منهم.

واختاروا من كل عشيرة رجلاً، فجاؤوا وأحاطوا بدار النبيّ ﷺ، ولكن الوحي نزل وأمره بأن يتخذ الليل جملاً مهاجراً إلى

المدينة، ثم أوضح له كل شيء من تدابير قريش وخططهم.

فجعل النبي الإمام عليًّا مكانه يبيت في فراشه لكي يظن الكفار أن النبيّ ﷺ موجود فيشتغلون به، ويخرج هو من طريق آخر. فبات الإمام على فراش الموت ينتظر المصير الكائن، بينما ذهب النبيّ يلتمس طريقه إلى غار ثور، حيث بقي هناك وقتاً كافياً، ثم سار إلى المدينة على غير الجادة، لكيلا تلحقه قريش أو عملاؤها الذين جعلت لكل من أخذ محمداً منهم مقداراً كثيراً من المال.

وعندما وصل النبيّ ﷺ إلى المدينة احتفلت احتفالاً رائعاً بقدومه، وسارت فيها مواكب السرور بأهازيج الفرح.

وتمت بذلك الهجرة النبويّة التي كانت بداية حياة جديدة للمسلمين، حياة العزة والمنعة، وحياة الدفاع عن حقوقهم، والجهاد لأعدائهم، وحياة التوسع والانطلاق إلى آفاق العالم. وفي الواقع كانت الهجرة بدء تكوين الأمة الإسلامية الموحدة؛ ولذلك اتخذ المسلمون منها بدء تاريخهم الديني، لأنها كانت أهم الأحداث بالنسبة إليهم.

وبقيت في مكة طائفة من المسلمين تَمَّ ترحيلُهم أيضاً بقيادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بعد التغلب على صعوبات شديدة. وهناك فكّرت قريش في أساليب أخرى للقضاء على الإسلام والمسلمين بعدما فات وقت الأساليب السابقة.

الأساليب الجديدة كانت توجز في خطتين اتبعتهما قريش الواحدة تلو الأخرى:

الخطة الأولى: كانت بعث رسائل إلى أهل المدينة يريدون فيها

منهم تسليم محمد ﷺ إليهم مع شيء من الترهيب والترغيب، بيد أن المسلمين هَزِئُوا بهذه الفكرة، وسخروا من أهلها، وبعثوا بقصيدة هجائية إلى قريش بيَّنوا بها جوابهم الصريح بعد أن أثبتوا حقيقة النبي ﷺ وحقيقة قريش التي تناوئه.

الخطة الثانية: وضع الحصار الاقتصادي على المدينة حيث كانت لقريش كل التجارة العربية، وكانوا قد أمَّنوا طرق تجارتهم بالتحالف مع القبائل البدوية التي كانت تسكن في طريق الشام وطريق اليمن. فأصدروا إليها بياناً حظروا فيه بيع المواد الغذائية لأهل المدينة، أو الإجازة لمرور القوافل التجارية لأهل المدينة التي ترمي إلى استيراد المواد إليها.

وأما النبي ﷺ الذي أخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن المدينة، والذي كان يرى أن الحصار الاقتصادي الذي ابْتُلِيَ به أهل المدينة إنما هو لأجله وبسببه؛ فإنه دبَّر خطة دفاع عن هذا الحصار بما سيأتي من أمر غزوة بدر، إلَّا أنه يجب علينا أن نُلقي نظرة عاجلة على حالة أهل المدينة وإمكانيتهم المادية والمعنوية قبل الحديث عنها.

فقد جاء النبي ﷺ إلى المدينة فوجد فيها عناصر ثلاثة:

١ - **المسلمون**: وهم يتألفون من أوس وخزرج ومهاجرين، وكل منهم يختلف عن الآخر، فاستطاع النبي ﷺ أن يصهرهم في قالب واحد، حتى صاروا إخوة متألفة قلوبهم، متراصَّة صفوفهم، وأصبحوا «أمة واحدة كأسنان المشط.. في التساوي والتعاون».

٢ - **المنافقون**: وهم طائفة كبيرة من العرب، أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر. وقد قدر النبي ﷺ على أن يشلَّ حركات هذه

الطائفة ونشاطاتها باللُّطف حيناً، وبإعطائهم بعض المناصب التي تشغلهم، وبعض المسؤوليات التي تسدّ فراغهم حيناً آخر. واشترك الوحي في تقويمهم بالآيات التي نزلت في المنافقين، وكانت تؤكد على ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

٣- اليهود: الذين كانوا قوة رهيبة يملكون من المال والسلاح والحيلة الشيء الكثير. ولقد وضع النبي ﷺ اتفاقيات سياسية وعسكرية معهم، تضمن للفريقين التعايش السلمي والدفاع المشترك عن البلاد وأهلها.

وكانت مسؤوليات الرسول ﷺ في المدينة أكثر منها في مكة، وإن كان الضغط هناك أكثر. حيث كان الرسول يريد أن يكوِّن أمة، قبل أن يشيد دولة.

فمسؤولية التبليغ لغير المسلمين، ومسؤولية تهذيب المسلمين، ومسؤولية تطبيق نظم الإسلام، ومسؤولية الدفاع عن المسلمين في الجزيرة العربية التي كان شعارها الحروب والغزوات، ودثارها السيوف والرماح. هذه المسؤوليات كانت بعض ما أخذ النبيُّ ﷺ على عاتقه أداءها من المسؤوليات الخطيرة. ففي الوقت نفسه الذي كان النبيُّ ﷺ يقود الجيش الإسلامي إلى جبهات القتال كان يوصيهم بأداء الأمانة والوفاء بالعهد ولو مع العدو اللدود. وفي الوقت نفسه الذي كان يُلقِّنُهم دروس التضحية والجهاد للدين، كان يشرح لهم معاني العفو والصفح، وإشاعة السلام وإطابة الكلام.

وفي اللحظة نفسها التي كان يتولَّى دفن الشهداء في أُحُد وقد

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

مُثِّل بهم شرَّ تمثيل فامتلأت قلوب المسلمين حقداً على الكفار وغيظاً وأملاً بالثأر، كان النبي ﷺ يتلوا عليهم آيات العفو وتحريم المُثْلَةِ ولو بالكلب العقور.

ومن كل هذا نكتشف مدى خطورة مسؤولية النبيِّ ﷺ التي كانت تهدف إلى تكوين الأمة الموحدة، كأفضل وأمجد أمة في الحياة.

وهنا نرجع الى الحصار الاقتصادي الذي ضربه كفّار مكة على المدينة لنعرف ما كان موقف النبيِّ ﷺ وكيف فكّه عنها.

فالخطة التي اتَّبعها النبيُّ ﷺ في رد هذا الحصار كان شيئاً مماثلاً؛ فالقوافل التجارية التي كانت تريد أن تسير إلى الشام من مكة كان الواجب عليها أن تقطع المضيق البرّي بين البحر الأحمر والمدينة. فجعل النبيُّ ﷺ سَرِيَّة مسلحة لمراقبة هذه المنطقة، وكانت هذه السَّرِيَّة من المهاجرين حيناً ومن الأنصار حيناً آخر، وكانت وظيفة هذه السَّرِيَّة منع القوافل التجارية.

ولكن القوافل هذه كانت قد تعاهدت مع القبائل البدوية في الطريق على أن تمنعها من المهاجمات التي كان يقوم بها قراصنة الصحراء، على أن تُعطي القوافل التجارية لها ضرائب معلومة كل سنة. ولذلك فقد فشلت هذه الخطة مرات عديدة حيث كانت هذه السَّرِيَّة المسلحة تريد التعرض للقوافل، فكانت القبائل البدوية تدافع عنها بحجة المعاهدة التي بينهما.

بيد أن النبي ﷺ ذهب الى هذه القبائل البدوية العربية وعقد معها اتفاقية في شأن الأمور الحربية، وبذلك أَمِنَ من دفاعها عن قوافل مكة.

وأرسل النبيّ ﷺ طائفة من أصحابه إلى موضع بين مكة والطائف ليترصدوا له قافلة قريش التجارية، فكتب رسالة مختومة وأعطاها قائد هذه الطائفة المدعو بـ(عبد الله بن جحش) وقال له: اذهب في اتجاه مكة، فإذا سرت يومين فافتح الكتاب واعمل بما فيه. فلما فتحه وجد فيه ما يلي:

إذا نظرت كتابي هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلَة بين مكة والطائفة فترَصد بها قريشاً وتَعلم لنا من أخبارها.

فذهب إلى نخلة ورأى قافلة تجارية تمرُّ بها في طريقها إلى مكة، فاستولى عليها، وأتى بها إلى المدينة بعد أن أسر منها رجلَين وقتل رجلاً وهرب آخر.

والنبيُّ ﷺ وإن كان لم يرضَ بفعل هذا القائد إلّا أنه استفاد من هذا المال في حين كان أحوج ما يكون إليه. كما أنه ربح الموقف بإلقاء الرعب في قلوب الكفار.

وقاد النبيُّ ﷺ السَّرِيَّة المسلحة في المرة الثانية، وأخذ يراقب بنفسه الركب التجاري لقريش، وسمع غير مرة بمسيرة قريش للتجارة وخرج إليها، غير أن الركب كان قد فاته ولم يلحق به. ولقد سبق أن قلنا: إن إعاقة مسير قريش للتجارة كان دفاعاً مشروعاً للنبيِّ، باعتباره عملاً مماثلاً لمنع القوافل التجارية عن أهل المدينة؛ وفكًّا للحصار الاقتصادي، وإدانةً لقريش مقابل ما استولوا عليه من أموال المسلمين في مكة ولم يرضوا بإعطائها لهم.

وذات مرةٍ خرج النبيُّ ﷺ لهذه الغاية -حيث سمع بركب

قرشي للتجارة فخرج إليه ليستولي عليه- فوصل الخبر إلى الركب، فأرسل بخبر ذلك إلى مكة واستنفرهم بأن أموالهم في خطر، والعرب في مكة كانوا يفدون أنفسهم لأموالهم، ويبذلون أرواحهم في سبيل حفظها، فحينما سمعوا بالنبأ، وهو أن محمداً ﷺ يتعرض لأموالهم، خرجوا إليه مسرعين نحو المدينة.

وكان أبو سفيان يتولّى رئاسة القافلة التجارية، فَتَنكَّبَ بها الطريقَ حتى سيّرها على ساحل البحر الأحمر بعيداً عن النبي ﷺ وعن سَرِيَّتِهِ المسلحة، وأنقذها بذلك من سيطرة المسلمين واستيلائهم عليها.

وأما كفّار قريش فإنهم ساروا إلى جهة المدينة. ومع أنهم سمعوا بنجاة القافلة التجارية، فإنهم لم يسمحوا لأنفسهم بالرجوع إلى مكة إلّا بعد إبادة المسلمين وكسر شوكتهم.

وكان النبيّ ﷺ لا يزال في طريقه إلى مكة -وهو يطلب عير قريش- وقريش في طريقها إلى المدينة تريد إبادة المسلمين، فالتقيا على ماء كان يسمى بـ(بدر) ولم يكن النبيُّ ﷺ قد استعد للحرب، بل كما سبق كان هدفه الاستيلاء على أموال التجارة القرشية، ومع ذلك فإنه رأى رجوعه إلى المدينة انهزاماً، ولم يسمح لنفسه بذلك حتى لا يدبَّ الطمع في قلوب الكفّار بالقضاء على المسلمين.

وكانت هذه أول حرب يخوضها المسلمون، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، وكان عدد الكفار يتجاوز تسعمائة وخمسين رجلاً، في حين لم يكن عدد المسلمين يبلغ أكثر من ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ومع كل ذلك فقد ربحها المسلمون وألحقوا خسارات فادحة بأعدائهم وهزموهم بإذن الله.

لقد كان التكتيك الحربي في الجزيرة العربية لا يعدو عن مقابلة الفرد بالفرد في مشهد ينظر إليه الفريقان، حتى إذا قتل الأبطال، هاجم الفرد، أو الجبهة -الجبهة المعادية- حتى ينهزم أحد الفريقين.

بيد أن النبيَّ ﷺ اتبع في حرب بدر طريقة جديدة حيث شكّل مثلثاتٍ حربيةً فريدةً من نوعها.

وذلك بأن أمر باصطفاف المسلمين على شكل مثلث كبير على شرط أن يكون ظهر كل فرد داخل المثلث -أي إلى سائر أفراد المثلث- ووجهه إلى الخارج -أي إلى الكفار-.

ولقد نصره الله بجنودٍ من الملائكة أنزلهم لِنُصرة نبيِّه ﷺ فانهزم الكفّار بعدما قُتل أبطالهم على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وانجلت الحرب عن سبعين قتيلاً من الكفّار أكثرهم من رؤسائهم وأبطالهم، وأربعة عشر شهيداً من المسلمين، ثمانية منهم من الأنصار، وستة من المهاجرين.

وهذه الحرب الدامية فتحت باب الحروب في وجه النبي ﷺ، الذي تصدَّى لها ببسالة وصمود، فجعلت قريشاً موتورةً بقتلاها، وطالبة لثاراتها؛ كما جعلت المسلمين مؤمنين بنصر الله لهم وقدرتهم على صد كلِّ هجومٍ مسلَّحٍ من أيِّ طراز كان.

وهذه الحرب دعت قريشاً إلى حبك المؤامرات الكائدة للنبيِّ ﷺ. فقد أرسلت ببعض أبطالها إلى المدينة خفية للغدر بالنبي وقتله، بيد أن الله تعالى فضحه، فلما جيء به إلى النبي ﷺ وتكلم النبي معه وأخبره بالمؤامرة تفصيلاً أسلم الرجل الذي كان يدعى (عمير بن وهب) وذهب إلى مكة داعياً للإسلام متحمساً نشيطاً.

وهكذا فشلت هذه المؤامرة الماكرة.

ثم قامت قريش بمحاولة فاشلة أخرى، إذ خرجوا وهم مائتا نفر يقودهم أبو سفيان، وأغاروا على المدينة ليلاً فقتلوا رجلَين. فلما لحقهم المسلمون بقيادة النبيّ ﷺ ولّوا هاربين، وخلّفوا بعض أمتعتهم ليخففوا عن أنفسهم في السير. وتسمى هذه الغزوة بـ(السُّوَيق) حيث إن المسلمين غنموا من السويق ما كان زاداً للكفار.

وأخذ أبو سفيان قيادة قريش هذه المرة، إذ نصب لواء الكفر وحشد تحته خمسة آلاف رجل مقاتل، وزحف نحو المدينة. فلما بلغ جبل أُحُدٍ على بعد كيلو مترات من المدينة، تصدّى له الرسول ﷺ بجيش لم يتجاوز عدده ستمائة محارب. ووضع النبيُّ خطة حربية باهرة، إذ اتَّخذ من الجبل ظهراً للجيش، وجعل على ثغور الجبل الذي وراءَه سريّة برئاسة (عبد الله) وأمرهم بألّا يغادروا موقعهم الحربي الخطير مهما كان الأمر، غَلَبَ المسلمون أو غُلِبوا، ثم أمر المسلمين بالهجوم الموحد على الكفار.

والكفار الذين لم يكونوا يعرفون نظام الهجوم الموحّد لأنهم لم يروه من ذي قبل انهزموا بعد ساعات من الاشتباك الدامي، فاستولى المسلمون على امتعتهم، فرأى أهل الثغور خلف المسلمين فوق جبل أُحُد رأى هؤلاء أن إخوانهم في تقدم باهر وفي جمع الغنائم؛ فنزلوا عن الموقع الخطير واشتركوا في جمع الغنائم.

وكلما ناشدهم قائدهم عبد الله بالبقاء لم يقبلوا منه، وحينما رأى الكفّار ذلك داروا من خلف الجيش الإسلامي، وهجموا على ما بقي من أصحاب عبد الله -صاحب الثغر- بقيادة خالد بن الوليد وكان

في جيش قريش، وقتلوهم وهجموا على المسلمين من ورائهم ونادوا بالكفار المنهزمين ليرجعوا، فأحاط جيش قريش بالجيش الإسلامي، وهرب القسم الأكبر من المسلمين، بيد أن الذين بقوا مع النبيّ ﷺ والإمام علي عليه السلام وطائفة أخرى من المسلمين المخلصين، ربحوا الموقف. وأخيراً قتل الإمام عشرة أفراد من حاملي ألوية الكفار حتى وقع لوائهم وانهزموا راجعين.

وبعد ذلك غنم المسلمون غنائم كثيرة، مع أنهم خسروا خسارات باهظة، مثل قتل حمزة بن عبد المطلب الشجاع البطل والقائد الثالث للقوات الإسلامية بعد النبيّ ﷺ والإمام عليّ عليه السلام، والذي سمّاه النبيُّ ﷺ بـ(سيِّد الشهداء).

وجمع أبو سفيان فلول جيشه وعسكر في بعض المواقع بين مكة والمدينة. فخرج الرسول ﷺ إلى الروحاء مع كل ما لحقه من خسارات الحرب الباهظة، وكل ما أضر بأصحابه من متاعبها ومصاعبها. وحينما وصل إليه هابه أبو سفيان وفرَّ هارباً إلى مكة.

وكان خروج النبي هذا كسباً للموقف بعد خسارته، وإرجاعاً لمكانة الجيش الإسلامي في نفوس أعدائه بعد زوالها.

ثم بعد مدة جمع أبو سفيان ألف مقاتل وزحف بهم إلى المدينة، فلما سمع النبيُّ ﷺ بخبره خرج حتى بلغ بدراً ولكن الكفار لما سمعوا بذلك ولّوا هاربين ولم يبقَ من أمر كفار قريش مع النبيّ إلّا غزوة واحدة فقط، وهي غزوة الخندق التي اشترك فيها قريش وغيرها.

وقاد هذه الغزوة أبو سفيان بوصفه قائداً للقوات العربية في

مكة، حيث جمع قريشاً والأعراب وتحالفوا مع بعض اليهود في المدينة، وجاؤوا إلى إبادة المسلمين.

والحروب التي خاضها المسلمون في حياة النبيِّ ﷺ كانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الذي كان بينهم وبين قريش.

الثاني: الذي كان بينهم وبين اليهود الساكنين في حصون اليهود حول المدينة.

الثالث: الذي كان بينهم وبين سائر الأعراب الذين تصدوا لمنع تقدُّم الإسلام، ووقفوا أمام انتشاره.

وقد اجتمعت الحروب بأنواعها الثلاثة في غزوة الخندق؛ ولذلك سميت بـ(الأحزاب) أيضاً، حيث تحالفت قريش مع (بني سليم) و(أسد) و(فزارة) و(أشجع) و(غطفان) ومع (بني قريظة)، وبعض يهود المدينة؛ تحالفوا جميعاً على محاربة النبيّ ﷺ.

وحينئذٍ تَمَّ رأي المسلمين على أن يبقوا في المدينة، ويحفروا بينهم وبين الأحزاب خندقاً عميقاً وعريضاً.

وجاءت الجيوش المعادية كالسيل الهادر يملأ السهل والجبل، فرأوا الخندق فقالوا: هذه حيلة جديدة.

وجاء شجعانهم، وهما: (عمرو بن عبد ودّ، وعكرمة بن أبي جهل) واقتحما الخندق حتى توسَّطا بينه وبين المسلمين. فأخذا يطلبان المبارزة، فتقدم الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام إلى أشجع العرب في زمانه عمرو بن عبد ود فقتله. وبموته ساد الرعب في صفوف الكفار.

وتبادل الفريقان المُراماة بالسهام. وبقيت الجيوش الكافرة أكثر من عشرين يوماً، ثم رجعوا على أعقابهم خائبين بعدما كلَّفهم الأمر خسائر معنوية ومادية كثيرة.

وشاع في الجزيرة العربية خبر صمود المسلمين أمام القوى مهما تضاعفت وتجمَّعت. فهذا جيش الإسلام لم يتجاوز عدده ثلاثة آلاف، في حين أن الكفار كانوا عشرة آلاف. ومع ذلك كان النصر للإسلام.

وبغزوة الخندق انتهت السلسلة الكبرى من حروب النبيِّ ﷺ مع قريش، ولم يخض النبي بعدها أيَّة معركة، إلَّا فتح مكة التي لم تكن حرباً في الواقع، بل كانت انتصاراً وغلبةً نهائيةً للمسلمين على الكفار.

وبقيت هناك سلسلتان من الحروب الإسلامية:

الأولى: حروب المسلمين مع اليهود.

الثانية: حروبهم مع القبائل العربية الأخرى.

أما حروب المسلمين مع اليهود فَتُوجَزُ بما يلي: اليهود كانوا أحجاراً ناتئة ناشزة وضعت في الجزيرة العربية لترد ما لحقهم من سيوف الملوك والسلاطين. وكانت الأكثرية الساحقة منهم تسكن في المدينة، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة ويهود خيبر، ويهود فدك، ويهود وادي قرن، ويهود تيماء.

فأما بنو قينقاع فقد كانت قبيلة مهنية تستولي على صياغة الجزيرة. وقد ذهبت امرأة من المسلمين عند أحد الصاغة منهم فراودها ليكشف عن وجهها فأبت، فعمد اليهودي إلى طرف ثوب المرأة فعقده إلى ظهرها من حيث لم تعلم المرأة بذلك. فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك

اليهودي منها، فصاحت تستصرخ المسلمين. فوثب أحد المسلمين وقتل اليهودي، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم.

ثم احتدم النزاع بين المسلمين واليهود، وجاء النبيُّ ﷺ إلى اليهود ينصحهم بالدخول إلى الإسلام وقبول نُظمه المقدسة، فاستهزؤوا به، وطلبوا النزال. فذهب الرسول إلى حصونهم وحاصرهم خمسة عشر يوماً فانتهى إلى الصلح مع النبيِّ بالخروج عن المدينة مع أموالهم وذراريهم وخلَّفوا تركاتهم وأمتعتهم لتكون للمسلمين، ففعلوا ذلك وذهبوا إلى أطراف الشام.

وأما بنو النضير فقد كانت قبيلة ثريّة تُعطي أموالها قرضاً للناس. فذهب النبيُّ ﷺ إليها يطلب منها القرض، فأرادوا اغتياله، حيث أصرُّوا عليه بالدخول إلى دورهم فأبى ذلك، واتّكأ على الحائط فأرادوا إلقاء حجر الدفن على رأسه من فوقه، فتنحى عنه، ورجع إلى المدينة قبل أن يقترض منهم، وأرسل إليهم أن اخرجوا من دياري حيث نقضتم ميثاقي، وقد أجّلتكم عشرة ايام. فأخبروا النبيَّ ﷺ بأنهم لن يخرجوا، فليفعل ما شاء.

فخرج النبي ﷺ إليهم، وحاصرهم وهدم مساكنهم فأخذوا يتنقلون من حصن إلى حصن، حتى ضاق عليهم الأمر، فطلبوا من النبيِّ ﷺ أن يخرجوا بأثقالهم عن المدينة، فلم يقبل منهم، فخرجوا وخلّفوا أموالهم غنائم للمسلمين.

أما بنو قريظة فإنهم كانوا حلفاء للأوس، ثم أصبحوا معاهدين مع الرسول ﷺ. ولكنهم انضموا إلى الأحزاب في غزوة الخندق، فبعد انتهاء الغزوة بانتصار المسلمين أمر الرسول ﷺ الجيش بالمسير

إلى بني قريظة، فجاؤوا حتى حاصروهم مدة خمسة وعشرين يوماً، ثم أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتحم حصونهم، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمر بهم فأُوثقوا. ثم جاء إليه بعض الأوس يستشفعونه في أمرهم فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. فاختاروا سيّدهم (سعد بن معاذ) فلما جاء سعد حكم فيهم بحكم التوراة (الكتاب المقدس الذي يتبعونه) بأن يقتل رجالهم، ويسبي نساءهم، فَفُعِلَ ذلك بهم.

وفي السنة السابعة من الهجرة حيث تم صلح الحُديبية فكّر النبيُّ صلى الله عليه وآله في محاربة يهود خيبر الذين كانوا يُكثرون الضغط على المسلمين ويعاونون أعداءهم عليهم دائماً. فلما سار إليهم الجيش كان لهم حصون سبعة كلها منيعة أشد ما تكون المنعة. فحاصروا الحصون مدةً مديدة، حتى ضاق اليهود ذرعاً بالحصار، بيد أنهم قاوموا حتى فتح المسلمون -تحت قيادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام- حصونهم واحداً تلو الآخر، وقتل الإمامُ أشجعَ أبطالهم (مرحباً)، وقلع الباب الكبير الذي كان يعجز عنه أربعون فارساً ورمى به بعيداً. وانتهت المعركة بقتل مائة من اليهود، واستشهاد سبعة عشر من المسلمين. وقد غنم المسلمون الشيء الكثير من المال والسلاح والأسرى.

وبعد هذه الغزوة لم يبق لليهود شأن يذكر في الجزيرة العربية فقد أصبحوا -بعدها- عبيداً في حين كانوا قبلها أسياداً.

ولذلك فإن يهود فدك ويهود تيماء رضوا بأن تكون أراضيهم للرسول صلى الله عليه وآله ويعملوا فيها على أن تكون الغلة بينهما نصفين.

وكانت طائفة من اليهود في وادي قرن لم يستسلموا للنبيّ ﷺ فذهب الرسول إليهم، ونازلهم وحاربهم حتى قبلوا أن يكونوا مثل إخوانهم.

أما حروبهم مع سائر العرب فهي كما يلي:

١- بنو سليم ذهب إليهم الرسول ﷺ بعد تجمعهم لمحاربته في موضع كان يسمى بـ(الكدر) ولكنهم تفرّقوا خوفاً منه ﷺ.

٢- (بنو ثعلبة) و (محارب) اجتمعوا تحت قيادة رجل كان يدعى بـ(دعثور) في واحة عطفان في أطراف نجد، فرحل إليهم النبي ﷺ وقبل أن يحاربهم اتّفق أنه ﷺ اضطجع على تلّ فعرف بذلك دعثور قائد الجبهة المعادية فجاء إليه، ووقف على رأسه شاهراً سفيه وقال: من يمنعك مني؟ فقال النبي ﷺ: «الله».

وفيما أراد دعثور إنزال سيفه دفعه جبرائيل فوقع بجانب التل، فوثب النبيُّ ﷺ وأخذ سيفه ووقف عليه وقال: من يمنعك مني؟. فقال: عفوك. فعفا عنه النبي ﷺ وأسلم، ودعا قومه إلى الإسلام ولم تقع محاربة قط.

٣- بنو سليم أيضاً أرادوا الحرب فخرج إليهم النبي ﷺ فولّوا هاربين قبل أن يلحقهم.

٤- بنو ثعلبة ومحارب، وبنو غطفان أيضاً، اجتمعوا للحرب في نجد، فلحقهم الرسول ﷺ ففرّوا من وجهه قبل النزال وخلّفوا نساءهم وأموالهم غنيمةً للمسلمين.

٥- البدو في دومة الجندل، وكانت هذه المنطقة قرب الشام،

وكانت هذه القبيلة قد عاشت على السلب والنهب مما قَوَّض الأمن والاستقرار؛ فذهب النبيُّ ﷺ لتأديبهم، بيد أنهم فرّوا هاربين قبل بلوغ النبي ﷺ إلى هناك.

٦- ومن هذه الحروب الحرب التي قامت بين المسلمين والكفار في مؤتة، وانتهت بغلبة المسلمين بعد تحملهم خسارات فادحة. ولكن هذه الحرب لم تكن تختص بالنبي ﷺ مباشرة، ولذلك فإنا نُعرض عن ذكرها كما نُعرض عن ذكر سائر الغزوات التي قام بها الجيش الإسلامي دون أن يشترك فيها النبيّ ﷺ. ونعطف إلى ماهو المهمّ من أعماله ﷺ في الحقلَين السياسي والديني.

وإليك موجزاً لأهم الأحداث السياسية والدينية:

صلح الحديبية: منذ أن أخرجت قريش المسلمين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ عن وطنه مكة، كان يشتاق إلى الرجوع إليها، لأنها البلد الأمين والمقدّس عند الله، ولأنها -مع ذلك- محطُّ أنظار العرب جميعاً.

ولكن الحروب والغزوات التي اكتنفت السنوات السبع بعد الهجرة، والضعف الذي كان يراه في أصحابه، منعاه من المسير إلى مكة. ولذلك فإنه حين رأى الوقت مناسباً عزم على الزحف إلى مكة وأعلن في المسلمين ذلك، وقال: إنه يريد مكة لأداء مناسك البيت فقط، فسار بألف وأربعمائة رجل من المهاجرين والأنصار.

بَيْدَ أن كفار قريش الذين رأوا أن دخول القوم مكة بعد أن أُخْرِجُوا منها من دون أن يلحقهم أذىً، إنّما هو ضعف وانهزام صريح

في وجه المسلمين.

ولذلك فإنهم أرادوا منعه منها، وأرسلوا بطلائع من جنودهم ليقفوا في وجه المسلمين. وحين ذاك تنكّب النبيُّ ﷺ عن الطريق المألوف لئلا يصطدم بهذه الطلائع. ولما عرف الكفار تنكُّبه، وأنه بلغ ثنية المرار أسفل مكة، أرسل النبي ﷺ أحد المسلمين يُنْبِئُ قريشاً بأنه لم يأتِهم محارباً بل معتمراً.

وأرسلت قريش سفراء يريدون من النبي ﷺ الرجوع عن عزمه. وكانت من قبل قد أرسلت سرية لمقاومة أعمال النبي ﷺ، فأخذها المسلمون وحبسوا جميع أفرادها.

ولما أصرت قريش على منع النبيِّ ﷺ عن البيت قال النبي لأصحابه: «**لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ**» وطلب من المسلمين البيعة فبايعوه على الفتح أو الشهادة.

وحينما بلغ قريشاً نبأ البيعة الجديدة للنبيِّ ﷺ هابوه فراسلوه على الصلح، فاصطلح معهم بما يلي وكان أهم بنوده:

١- إيقاف الحرب بين الفريقين لمدة سنتين.
٢- القادم إلى المسلمين يُردّ وليس بالعكس.
٣- رجوع المسلمين هذه السنة وإتيانهم في المقبلة.
٤- يستطيع الفريقان قبول عهد من شاء.

وكانت هذه السياسة السليمة التي اتَّبعها النبيُّ ﷺ هي التي فتحت عليه طرق التقدم والنجاح، حيث زحف المسلمون لمواجهة العالم الخارجي بعد أن أمَّنوا الجانب الداخلي، وكان بذلك الحدث التالي:

١- بعد هذا الصلح مباشرة بعث النبيُّ ﷺ رسائل إلى زعماء وملوك كافة الدول المجاورة. فراسل ملك الروم، والفرس، والحبشة، والقبط، كما أرسل رسائل إلى كلٍّ من أمير بصرى، وأمير دمشق، وملك البحرين، وملكَي عمان، وملك اليمامة بشأن الرسالة التي حُمِّل مسؤولية تبليغها. وقد كان لهذه الرسائل آثارها البعيدة في نشر لواء الإسلام ومحق آثار الكفر.

أما أجوبة هؤلاء فمنهم من أسلم، وهو كلٌّ من ملك الحبشة، وأمير البحرين، وملكَي عمان، فكان ذلك فتحاً مبيناً للإسلام. ومنهم من لم يسلم ولكنه احترم الرسول فأيَّده، وهو كلٌّ من ملك الروم وملك القبط وملك اليمامة. ومنهم من أساء إلى الرسول واستهزأ به، وهو كلٌّ من ملك الفرس، وأمير بُصرى وأمير دمشق.

٢- وفي السنة التالية -السابعة للهجرة- اعتمر النبيُّ ﷺ على رأس أصحابه الذين كانوا في الحديبية. وفسح الكفار المجال أمامهم، وخرجوا عن مكة لئلا يقع تضارب بين الفريقين -على ما كان يتضمنه أحد بنود الصلح الماضي-. وكانت هذه المرة أول مرة يدخل فيها النبيُّ ﷺ مكة بعد هجرته عنها بسبعة أعوام.

٣- ورجع النبي ﷺ إلى المدينة بعدما بقي في مكة ثلاثة أيام. وبعد ذلك نقضت قريش بعض بنود الصلح بأن كانت قبيلة تسمى بخزاعة (معاهدة مع النبيّ)، وكان على قريش ألَّا تحاربها وألَّا تُعين عليها أعداءها، لكنها فعلت ذلك.

وحلّ للنبي ﷺ بذلك قتالها، فجمع أصحابه وجمع من القبائل المسلمة التي كانت تقطن حول المدينة عدداً كبيراً، وزحف نحو مكة بعد

أن ملأ الطريق عيوناً ورقباء على السائرين، لكيلا يصل خبر خروجه إلى قريش فيتم الأمر بالحرب التي لا يريدها النبي ﷺ أبداً.

ولما بلغ النبيّ ﷺ بجيشه حي ظهران بقرب مكة، أمر أصحابه بأن يُكثروا من إيقاد النار، ففعلوا ذلك. فاسترهب ذلك قلوب الكفار أيَّ استرهاب، وكان أبو سفيان يراقب طريق مكة إذ رأى النار فملكه الرعب؛ والتقى بالعباس -عمّ النبيّ ﷺ- فحمله إلى النبي ﷺ ودار بينهما محادثات تمت بإظهار أبي سفيان للإسلام وبإسلام بعض أبطال قريش وزعمائها قبله، ففقدت مكة قوّتها، ومنعتها، ولم تملك قوةً تدافع ضد دخول النبيِّ إليها. وقد انتهج النبيّ ﷺ مسلكاً فريداً في هذا الهجوم العسكري، وذلك بأن أعلن قبل الزحف إلى مكة أنَّ من ألقى السلاح أو دخل دار أبي سفيان أو دخل داره أو فناء الكعبة أو تحت لواء أبي رويحة فهو آمن. ثم أمر قواته بإحاطة البلد والزحف عليها من جميع جهاتها، وألّا يقاتلوا إلّا من قاتلهم. ثم دخل مكة من دون أن يعترض أحد طريقه إلّا من جهة أسفل مكة حيث جاء منها خالد بن الوليد، وقَتل اثنَي عشر نفراً ممن عارضه، وقُتل من المسلمين واحد. ثم أعلن النبيّ ﷺ في البيت الحرام العفو العام عن المشركين جميعاً، أثناء خطبة ألقاها عليهم.

وبفتح مكة تمت السيطرة المطلقة للمسلمين على الجزيرة العربية التي كانت تعتبر مكة دينها ودنياها معاً.

ثم أمر النبيّ ﷺ بهدم الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله فهدمت جميعاً. وبعد ذلك سمع النبيّ ﷺ بأنَّ قبائل عربية اتَّحدت تريد الانقضاض على مكة للقضاء على المسلمين، ومن بين تلك القبائل

هوازن وثقيف. فلما تحقق النبيّ ﷺ الخبر جنَّد اثني عشر ألفاً من المسلمين وتوجه إليها، فالتقى الجمعان في وادي حُنين، حيث كان مضيق جبليٌّ واقع بين جبلَين. وقد كان العدو قد سبق المسلمين إلى احتلال المواقع العسكرية في الجبلين.

وحينما زحف المسلمون إلى العدو بين الجبلين انقض الكفار عليهم انقضاضاً، فهزمت طائفة منهم ثم التقت بالطائفة التي بعدها فسادت الفوضى في الجيش الإسلامي، وهُزموا هزيمة قبيحة. بيد أن النبيّ ﷺ بقي صامداً.

وبقي معه بعض المسلمين، ثم اجتمعت فلول المسلمين حتى كوَّنوا جبهة حاربوا بها الكفار وغلبوهم. وحيث إن الكفار كانوا قد أخرجوا جميع ممتلكاتهم ونسائهم إلى ساحة الحرب لعل ذلك يسبّب قوةً لمعنويات الجيش، فإن المسلمين ربحوا غنائم كثيرة. واستعمل النبيُّ ﷺ تلك الأموال في تأليف قلوب قريش، ثم عزم الرجوع إلى المدينة.

وقبل الرجوع أرسل سرايا من المسلمين في ملاحقة المنهزمين من الكفار الذين أرادوا التجمع مرة أخرى وإيقاد نار الحرب.

ومن تلك السرايا، قوة مسلحة إلى الطائف حيث تحصّن الكفار فيها. بيد أن حصون الطائف كانت أمنع من أن يتغلب عليها المسلمون فرجعوا، وعندما بلغ النبيّ ﷺ المدينة تقاطرت عليه الوفود من جميع أنحاء الجزيرة يُعلنون دخولهم في الإسلام، ويطلبون منه إرسال المبلّغين المرشدين لهم.

وفي السنة التالية لفتح مكة نزلت سورة البراءة التي أعلنت انتهاء الدور المظلم للجزيرة وابتداء الدور المشرق.

فأرسل النبي ﷺ الإمام علي بن أبي طالب إلى مكة حيث تلا هذه السورة في الحجّاج المحتشدين في منى، وأعلن بصراحة منع دخول المشركين إلى المسجد الحرام؛ لأنهم نجس، ولأن الله بريء منهم. كما أعلن أنه لا عهد ولا ذمة لمشرك، وأن دم كل مشرك حلال بعد أربعة أشهر.

وبعد هذا الإعلان لم يبقَ في الجزيرة من يظهر الشرك، إلّا فلول منهزمة مختفية على خوف من المسلمين. فأخذ الرسول يتأهب لمقاتلة الروم، وقد كانت طلائعهم تستقي في أرض الشام التي كانت إمارة عربية تابعة للأمبراطورية الرومية. فزحف بالجيش الإسلامي، الذي كان عدده أكثر من ثلاثين ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف. وكان المسلمون مدججين بالسلاح الكامل.

وكان فعلُ النبيِّ ﷺ ذلك بعد إشاعة راجت في المدينة بأن جيش الروم قاصد لفتح الجزيرة العربية وإبادة المسلمين. ولكن حينما وصل النبيُّ ﷺ بجيوشه إلى تبوك عرف كذب الإشاعة، فصالح أهل تلك البلاد وملك الروم. ثم رجع بعدما جعل من أهل الحدود الشامية الحجازية مرابطين له ضد الأعداء، وبعدما زرع الخوف والذعر في قلوب الرومانيين بمباغتة المسلمين لهم.

وفي السنة العاشرة بعد الهجرة اعتزم النبيُّ ﷺ أن يحج، فاجتمع إليه المسلمون من كل مكان. فلما اكتمل عددهم سار بهم إلى مكة حيث أراهم كيفية الحج بعدما مُنع المشركون من إجراء مراسم الحج في السنة التاسعة.

فلما أتم النبيُّ ﷺ مناسكه خطب في المسلمين خطبته المشهورة

التي بيَّن بها تعاليمه الدينية والخلقية ورجع قاصداً المدينة.

ولعل بعض من رافق النبيَّ ﷺ في هذه الرحلة المقدسة لاحظوا بوضوح مظاهر القلق والاضطراب في ملامحه كل حين، كأنّه يريد إبداء شيء يخاف منه أو يرتقب فرصة أخرى أفسح وأولى!!.

ولكنَّ هذه الحجة كانت الحجة الأخيرة للنبيِّ ﷺ. ولذلك سُمِّيت بحجة الوداع. ومن الضروري أن يُبيِّن فيها النبيُّ كل شيء يتعلق بمصالح المسلمين وشؤونهم السياسية والدينية. وإنّ أهم هذه الشؤون هي السلطة. فإذا تُوُفِّيَ النبيّ ﷺ اختلفت العرب الذين لم يتسرّب الإسلام إلى قلوبهم كما هو في واقعه، وتنازعت أمرها وذهب الدين ضحيةً للاختلاف.

ولقد أنبأه الوحي بأنَّ السلطة تكون من بعده لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، أوّل من آمن بالله وبرسوله ﷺ، وأشدَّ من أبلى في سبيله، وأقضى المسلمين وأفضلهم. ولقد ذكر النبيُّ ﷺ ذلك للمسلمين مراراً إلّا أن خوف النبيّ ﷺ كان شديداً على مستقبل الأمة، حيث رأى في المسلمين بعض الذين يهدفون للسيطرة وقد التفوا حول النبيِّ لها فقط. فلما كان النبيُّ ﷺ بمنزل (كراع الغميم) من أراضي عسفان نزلت عليه الآية المباركة تقول: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾[1].

ولمّا بلغ غدير خم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة هود، آية: ١٢.
(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

واطمأن النبي بنصرة الله في خلافة علي عليه السلام فعزم على الأمر وأمر المسلمين بأن ينزلوا في ذلك المكان وبأن يجتمعوا. فلما اجتمعوا قام فيهم خطيباً وأعلن خلافة علي عليه السلام قائلاً، بعد خطبة كريمة: «**أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ.....**»(١).

ثمَّ أمر المسلمين بالبيعة له، والسلام عليه بإمرة المؤمنين. ولما تمَّ أخذُ البيعة جاءت الآية الأخيرة التي أعلنت إكمال الدين وتمامه: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾(٢).

وبعد رجوعه إلى المدينة سيّر جيشاً كبيراً فيه أبو بكر وعمر وكثير من المهاجرين والأنصار، وأَمّر عليه أسامة بن زيد -وهو فتىً لم يبلغ العشرين-، سيّر هذا الجيش إلى الشام حيث قُتل جعفر وزيد أبو أسامة القائدان للجيش الإسلامي.

ومع حِرصِ النبيِّ صلى الله عليه وآله على أن يخرج هذا الجيش في أقرب وقت ليبعد العناصر الفاسدة في المسلمين الذين كان يخشى منهم على مستقبل الأمة ومصيرها، في حين كان يرى اقتراب أجله. ومع ذلك فإن المنافقين أرجؤوه، حتى أمر النبي صلى الله عليه وآله أسامة بكل إصرار على متابعة سيره فعسكر بالجرف على فرسخ من المدينة.

بيد أنّه اشتد خلال ذلك مرض النبي صلى الله عليه وآله الذي كان سببه السم الذي سُقيه على ما يذهب إليه بعض الرواة، وقد دُسَّ إليه بيد بعض اليهود. فرجع أفراد الجيش إلى المدينة مع أن النبي صلى الله عليه وآله لعن من

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٧، ص١١٥.
(٢) سورة المائدة، آية: ٣.

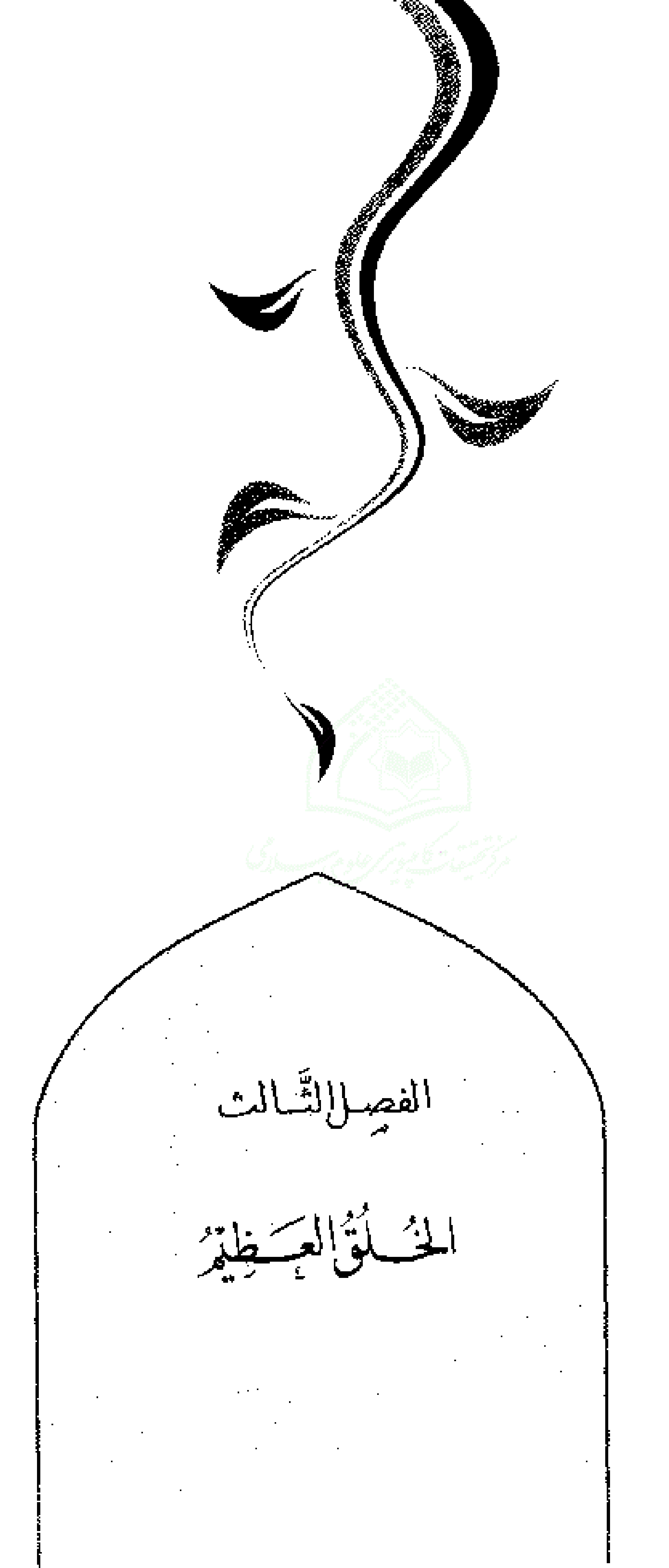
يتخلف عن الجيش أشد لعنة.

وفي الثامن والعشرين من شهر صفر من السنة الحادية عشرة بعد الهجرة، وبعد ثلاث وستين سنة قضاها في الله، ثلاثة وعشرين عاماً منها بصورة خاصة في حمل الرسالة العالمية إلى الآفاق، عشرة منها في مكة، وثلاثة عشر في المدينة، الْتَحق النبي محمّد ﷺ بالرفيق الأعلى؛ وكان ذلك في ضحى يوم الاثنين من سنة (٦٣٣ ميلادية).

وكانت وفاة النبي ﷺ نكبة فادحة في الإسلام لم يسبق لها مثيل، كما كان فيها انحراف مباشر لخط السير السريع لتقدم الإسلام.

وقام الإمام علي بي أبي طالب عليه السلام بمراسم الغسل والتكفين وصلَّى عليه هو والمسلمون، ثمَّ دُفِنَ في بيته حيث مرقده الآن.

فعليك يا رسول الله أفضل الصلاة والسلام وعلى آلك الطيبين الطاهرين.



الفصل الثالث

الخلق العظيم



تعدّد الزوجات:

لقد حسب العدو أنه يستطيع أن يتخذ من تعدد زوجات النبيّ ﷺ نقطة ضعف ليفتري منها عليه من يشاء.

بيد أن الدراسة الواعية لتاريخ النبيّ ﷺ، توحي بالفلسفة الواقعية لزيجات رسول الإسلام، فإذا هي من صميم أخلاقه الطيبة، ومن مظاهر إنسانيته ونشاطاته الدينية المقدسة.

ونحن إذ لا نستطيع أن نوجز ما يحتاج إلى سِفْرٍ في صفحة، نأمل أن نُشير إلى موجز من فلسفة زيجات النبي ﷺ، ونجملها أُبيِّنه فيما يلي:

١- إن الرسول ﷺ لم يتزوج في شبابه حينما تبلغ غريزة الإنسان الجنسية منتهاها. بل اكتفى بالسيدة خديجة وهي -كما يعلم الجميع- كانت امرأة ثَيِّباً، ولم يتزوج بامرأة بِكْرٍ إلّا بعائشة، وذلك حيث لم تكن له زوجة، وكان بدء التبليغ الإسلامي وتأسيس شرائعه التي كانت تخالف الرهبانية المسيحية التي تحظر الزواج. وكان النبي يريد أن يكون عاملاً قبل أن يكون قائلاً ليكون أسوة حقة للمسلمين؟

٢- إن الرسول ﷺ تزوج بنساء (أرامل) كانت العادة العربية تنبذهن نبذاً، فتذهب الأرملة إما فاجرة أو فقيرة (معدمة). أولئك الأرامل اللاتي كانت الحروب الإسلامية تكثر منهن. كما أنه تزوج بنساء لكي يستميل أهلهن إلى الإسلام.

فمن **القسم الأول**: أم سلمة وسودة بنت زمعة ورملة أم حبيبة وحفصة بنت عمر وميمونة وغيرهن.

ومن **القسم الثاني**: صفية بنت ثابت أحد زعماء اليهود، ولعل النبي تزوج بها لتأليف قلوب اليهود الذين هُدّمت حصونهم، وأُبيد مجدهم. وجويرة التي تزوجها بعد هزيمة أربابها في غزوة بني المصطلق، فأعتق بسببها كل من أسر من بني المصطلق، وأسلموا ببركة هذا الزواج الميمون. أضف إلى ذلك كله أن النبيَّ ﷺ لم يبعث إلى الرجال فقط بل إلى النساء أيضاً فكان يتصل هو مباشرة بالرجال وبالنساء فيربيهم ويهذب نفوسهم. فإن لم يكن يتزوج هذا المقدار لم تتح له الفرصة الكافية للاتِّصال بالنساء إلّا من بعيد. وهو لا يكفي في تربية المرأة التي تؤهل لقيادة النساء فكريًا وتربويًا.

ومع أن الرسول ﷺ تزوج بهؤلاء النساء المختلفات الجنسية، فقد استطاع أن يكون المثل الأعلى في تدبير الشؤون العائلية مع ما كان له من مشاكل اجتماعية بالغة التعقيد.

أما في سائر الشؤون فقد استطاع النبيُّ ﷺ بفكره وسعة صدره، وحسن تدبيره، وبما آتاه الله من تفوُّق كامل على جميع الناس في جميع العصور، لقد استطاع: أن يُكوِّنَ -وهو اليتيم المطارَد- من جحيم الصحراء العربية، جنة البلاد الإسلامية، ومهد الحضارات الإنسانية.

ومن أهلها شر أهل الأرض وأسوئهم خُلقاً ومبدأً وعادات، كوّن منهم قادة العالم وسادته على طول الخط، كما سبق تفصيل بعض أحداثه آنفاً. أفلا يدلّ هذا على حسن التدبير، وسعة التفكير، وجميل السيرة والاكتمال في السمو النفسي والعقلي.

أما إذا تكلّمنا عن رحابة الصدر وسعة النفس في مجال التدبير للشؤون الخاصة والعامة -إلى سائر مظاهر السمو النفسي والخلقي- فإنا يجب أن نعترف بالعجز عن التعبير الكامل عن كل جوانب التفوق والتسامي في الأخلاق بالنسبة إلى النبي ﷺ، الذي جعله الله خاتم النبيين الذين كانوا قادة النّاس وسادتهم في كِلاَ الحقلَين المادي والروحي.

ولقد احتج الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعجز الإنسان عن التعبير الكامل عن أخلاق النبيّ ﷺ، احتج لذلك احتجاجاً لطيفاً بأن الله يقول في كتابه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]، في حين يقول في آية أخرى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]، فالحياة الدنيا مع أنها قليلة عند الله، فإنها لا يمكن الإحاطة بها، وإحصاء ما فيها.. فكيف بأخلاق النبي ﷺ الذي يقول فيه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، حيث عبرّ عنه بالعظيم. فإذا لم يكن إحصاء القليل ممكناً فكيف يمكن إحصاء العظيم.

ومع كل ذلك فإني أسرد لك شيئاً من مظاهر الخُلُق العظيم،

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.
(٢) سورة التوبة، آية: ٣٨.
(٣) سورة القلم، آية: ٤.

تاركاً الشيء الكثير منه.

كان النبي ﷺ أشجع، وأحلم، وأعدل، وأعف، وأسخى الناس جميعاً، وكان لا يبيت عنده دينار ولا درهم.

وكان أزهد الناس، وأبسطهم في العيش، حيث كان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم في البيت مع سائر أهل بيته.

وكان أشد الناس حياءً، فلا يثبت بصره في وجه أحد أبداً.

وكان أسمح الناس وأسهلهم، وكان يُجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، ويكافئ عليها أحسن مكافأة، وكان لا يستكبر عن اجابة أَمَةٍ أو مسكين.

وكان يغضب لله ولا يغضب لنفسه؛ ويُجري حكم الله وإن تضرَّر هو أو أحد من أصحابه به. فقد أشار عليه أصحابه ذات مرة بأن ينتصر على أعدائه المشركين بسائر المشركين، فأبى قائلاً: «**لَا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ**»[1] مع أنه كان أحوج ما يكون إلى ذلك.

وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع، فإذا حضر الأكل، أكل ما وجد ولم يردَّ شيئاً. وكان متواضعاً في أكله، فلا يأكل مُتوكِّئاً، ولا على خوان، ويؤاكل المساكين، ويجالس الفقراء، ويكرم أهل الفضل، ولا يجفو أحداً.

أما في شؤونه الاجتماعية، فكان يعود المريض كائناً من كان وكيف كان، ويشيّع الجنائز، ويمشي وحده ولا يتخذ حاشية أبداً. ويركب ما حضر إن فرساً، أو بغلةً، أو حماراً، إن حافياً أو ناعلاً، مع الرداء حيناً،

(١) شرح نهج البلاغة: ج١٤، ص٢٢٧.

وحيناً بلا رداء وبلا عمامة ولا قلنسوة. ولكنه كان يسير بمظهر القوة لا الضعف، فإذا مشى اقتلع رجليه عن الأرض اقتلاعاً حتى كأنه ينحدر من علٍ.

وكان يحب الطِّيب حبًّا جمًّا، وكان له عبيد وإماء، ولكن لم يكن يترفع عليهم أبداً.

وكان لا يمضي عليه وقت ليس في طاعة الله.

وكان يبدأ مَنْ لقيه بالسلام، ومن قام معه في حاجة سايَرَه حتى يكون هو المنصرف.

وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ يده وشابكه ثم قبض عليها.

وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلِّي إلَّا خفَّف صلاته والتفت إليه قائلا: ألك حاجة؟. فإذا تمت حاجته قام إلى صلاته.

وكان أكثر جلوسه جلسة التواضع وهي أن يرفع ساقيه ويمسكها بيديه، ويجلس حيث ينتهي به المجلس. وما رؤي قط مادًّا رجليه بين أصحابه، وكان أكثر ما يجلس يستقبل القبلة. وكان يُكرم مَنْ يدخل عليه؛ حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبين الرسول قرابة. وكان يُؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبى عزم عليه حتى يقبل.

وما استصغاه أحد إلَّا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى أنه كان يُعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ونظره.

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم وتعظيماً، فإذا لم يكن لأحد كنية كنّاه من جديد حتى يُكنّى بها.

والمرأة إن كان لها ولد كنَّاها به، وإن لم يكن لها ابتدأ بكنية لها جديدة. حتى الصبيان فإنه كان يكنيهم. وكان أبعد الناس غضباً على أحد، وأسرعهم رضاً، وأرقهم لهم قلباً، وخيرهم لهم نفعاً.

وكان إذا جلس مجلساً قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[1].

وكان إذا جلس بين أصحابه لا يُعرف أيهم محمد ﷺ لاختلاطه بهم. فلما كثر الوافدون الذين كانوا يسألون عنه أمام عينيه قائلين: أيُّكم محمد!. صنع له دكة من طين. وكان يقول: **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**!.

أما صلته بربه فلقد كان نبيَّ الإسلام، أخشى الناس لربه، وأتقاهم له، وأعلمهم به، وأقواهم في طاعته، وأصبرهم على عبادته، وأكثرهم حبًّا له، وأزهدهم فيما سواه. فكان يصلِّي حتى انشقت بطن قدَميه من كثرة الصلاة. فإذا وقف إلى الصلاة انهمرت دموعه، وارتجت البقعة بنشيجه وضراعته. وكان يصوم حتى يقال: إنه لا يفطر، ويفطر حتى يقال: إنه لا يصوم. وكان نظيف الجسم، طاهر الثياب، يرجّل جمته، ويسرّح لحيتَه، ويستاك، ويعطِّر جسده، حتى كان يشم منه الرائحة الطيبة من بُعد، ويعرف الشخص الذي يصاحبه أو يجالسه أنه قد التقى به بما يسري منه إليه من العطر. ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويُركب الراجل، ويُعين ذا الحاجة فيها، ويقضي دين المَدين.

وكان أشجع الناس، حتى قال الإمام علي عليه السلام: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُو، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ**

(١) مستدرك الوسائل، ج١٥، ص٤٢٨.

يَوْمَئِذٍ بَأْساً»[1]. وقال عليه السلام أيضاً: «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله **، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ**»[2]. وكان أجود الناس كفًّا، وأصدقهم لهجةً، وأوفاهم ذمةً، وألينهم عريكةً، وأوسطهم نسباً. من رآه هابه، ومن خالطه أحبه. ما سُئِلَ شيئاً إلّا أعطاه. وإن رجلاً أتاه سائلاً فأعطاه غنماً سدّت بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمداً صلى الله عليه وآله يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

وكان يُنكر كلَّ منكر، ويأمر بالمعروف.

وكان -أخيراً- قدوةً لكل خير، وأسوةً في كل فضل، ورائداً إلى كل ما ينفع الإنسان في العالمين.

فعليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٣٢.
(٢) بحارالأنوار، ج١٩، ص١٩١.



المحتويات

الفصل الأول: الأَصْلُ الكَرِيم ٧
بَنُو هاشم.. ٩
عبداللّـه وآمنة ١٠
الميلاد المبارك ١٠
عهد الرضاع ١٠
الراهب بُحيرا ١٢
الأمين.. الحكيم ١٥
الفصل الثّاني: وبَعْدَ الرِّسَالة ١٧
الفصل الثّالث: الخُلُقُ العَظِيْمُ ٥٣
تعدّد الزوجات ٥٥